الموردة

WWW.ATTAWEEL.COM

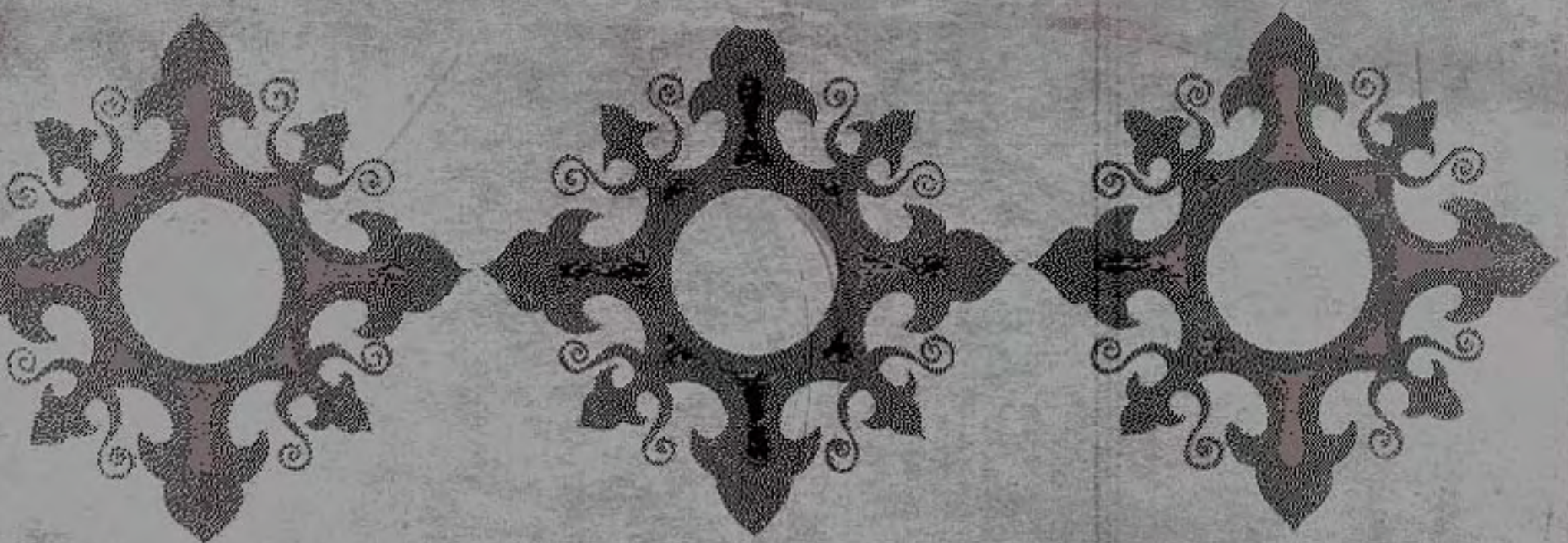

أسعد الدين محمد

صفاء الدين عيسى البندنيجي

حياته وآثاره

١٢٠٣ - ١٢٨٣هـ/١٧٨٨ - ١٨٦٦م

بقلم الدكتور

عماد عبد السلام رؤوف

رئيس مركز احياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

بندنيجين اسم قديم لمدينة عراقية شهيرة(١)، لم تزل عامرة باهلها حتى اليوم ، تحرف في عهود مختلفة الى منديجين ، ومنديج ، ومندي ، وتعرف الآن باسمها الاخير ، وتعد مركزاً لأحد اقضية محافظة ديالى .

اشتهرت بندنيجين ، او مندلي ، في كتب التاريخ والتراجم بجمهرة من الرجال النابغين الذين برزوا في مجالات العلم والادب والثقافة ، فكان منهم الاديب والصوفي والمحدث والمؤرخ والشاعر والفقيه . ولم تنجح عهود الظلمة وما تعرضت له المدينة من غزوات وكوارث ، منذ نهاية عصر الدولة العباسية ، في القضاء على دورها الثقافي المشهود ، اذ ما ان هل القرن الثاني عشر للهجرة (١٨م) حتى اخذت بغداد باستقبال رجال من اهل هذه المدينة ، اشتغلوا بالعلم والتعلم ، واسهموا في الحركة الثقافية العربية التي كانت ملامحها تبين في ذلك القرن ، ونمت في القرن الذي تلاه . منهم الشيخ الصوفي علي بن ابراهيم الحسيني البندنيجي البغدادي ، مؤسس التكيه البندنيجية المعروفة ببغداد ، والمتوفى بها ، في طاعون سنة ١٧٧٢م/١١٨٦هـ(٢) ، والشيخ احمد

(١) قال ياقوت (معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٥ ، ٤٩٩/١): « هي بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من اعمال بغداد .. خرج منها خلق من العلماء محدثون وشعراء وفقهاء وكتاب » وتحريف اسم بندنيجين قديم، ورد في مصادر القرن التاسع الهجري (١٥م) (يعقوب سركيس : مباحث عراقية ٢٦٢/١) الا ان اسم بندنيجين وبندنيج بقي معروفا حتى اواخر القرن الماضي . وكان عدد سكان المدينة ضئيلا في القرن المذكور ، بسبب ظروفها الصعبة ، حيث لم يزد ذلك العدد عن (١٤١٠) نسمة ، ولم يكن فيها من المدارس الحديثة حتى نهاية القرن سوى مدرسة رشدية (متوسطة) واحدة . انظر: شمس الدين سامي : قاموس الاعلام ٤٤٤٦/٦ - ٤٤٤٧ .

(٢) ترجمته في « تذكرة الشعراء » المنسوب لعبدالقادر الشهرباني (بغداد ١٩٣٦) ص ٢٨-٣٠ وفي شرح القصيدة الرائية لعيسى البندنيجي (مخطوط) . وعلى الرخامة المثبتة فوق باب حجرة قبره في تكيته ببغداد انه توفي في ثالث ذي الحجة من السنة المذكورة اعلاه . له من التاليف « الموارد اللدنية في شرح القصيدة العينية » منه نسخة مخطوطة في مكتبة الاوقاف المركزية ببغداد (برقم ٤٠٠٩) واخرى في مكتبة المتحف البريطاني برقم (Or. 7728) وله رسالة المناسك الالهية ، منها مخطوطة في مكتبة المتحف البريطاني برقم (Or. 7729 (DL 10 ومن شعره قصائد وردت في مجموعة خطية في مكتبة اوقاف الموصل برقم ٧٠ (مجموعة مدرسة الجامع الكبير) والمنظومة البندنيجية له ، سودها سنة ١١٦٧هـ ضمن مجموعة في المكتبة ذاتها برقم ٢٠ (مجموعة المدرسة الاسلامية) (سالم عبدالرزاق

WWW.ATTAWEEL.COM

بن عبدالله البندنيجي[٢] ؛ والشيخ موسى جلال الدين بن جعفر البندنيجي ، صاحب التكية الكائنة في بندنيجين (مندلي) والمتوفى سنة ١٨٢١م/ ١٢٣٧هـ وابنه محمد صالح البندنيجي الحنفي النقشبندي القادري[٤] ؛ وغيرهم .

واشهر من نبغ من البندنيجيين في هذه الحقبة ، الشيخ القدوة الزاهد ابو الهدى صفاء الدين عيسى بن جلال الدين موسى بن جعفر القادري النقشبندي البندنيجي البغدادي ، رئيس مدرسي بغداد ، وعالمها ، ومؤرخها ، في تضاعيف القرن التاسع عشر .

وعلى الرغم من مكانة هذا الرجل العلمية الرفيعة ، واهمية مؤلفاته المتنوعة ، فان اخباره على غاية من الندرة ، ومعلوماتنا عن الجوانب الكثيرة التي تحفل بها حياته نزرة متفرقة ، لذا عمدنا الى استشفاف شخصيته ، وتقدير مكانته بين علماء عصره ، من خلال ما خلف هو من تعاليق وكتابات متفرقة ، وكتب ووثائق مختلفة . واذا ما علمنا ان جميع ما حبره هذا العالم لما يزل مخطوطا ، او مفقودا ، لاحت لنا صعوبة العمل ودقته ، فلا نخطىء اذن ان ذهبنا الى ان هذه الدراسة هي الأولى في سيرة الشيخ البندنيجي وآثاره .

اسرته وبيئته :

ولد سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م تقريباً ، بدلالة ما ذكر عنه من انه بلغ من العمر عند وفاته سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م زهاء الثمانين عاما[٥] . ونشأ ببغداد ، حيث استقرت اسرته منذ زمن . قال محمود شكري الآلوسي « نشأ هذا الفاضل في بغداد ، وفيها حاز الكمالات والفضائل »[٦] . ولم تكن اسرته هذه بالمغمورة ، فان والده الشيخ موسى بن جلال الدين كان صوفيا معروفا[٧] ؛ شيد تكية في بندنيجين (مندلي) وله منزلة رفيعة في نفوس اهلها لما اشتهر به من علم وورع[٨] . وقد ورد ذكره في قائمة شعراء بغداد وكتابها ايام الوزير داود باشا والي بغداد (١٢٣٢-١٢٤٧هـ / ١٨١٦-١٨٣١م) مما دل على انه معدود بينهم . قال صاحب « تذكرة الشعراء » ما نصه : « مبحث الشيخ موسى افندي البندنيجي نجل الشيخ جعفر . إن المومى اليه قد سبق ذكر منقبته في بحث نجله عيسى افندي الصفائي »[٩] وليس فيما سبق من الكتاب اية اشارة اليه ، والظاهر ان ترجمته اختلطت بغيرها ؛ فقد وردت تحت عنوان آخر ، هو « مبحث السيد احمد افندي نجل السيد عبدالله [البندنيجي] » واذ صرح المؤلف بأن لصاحب هذه الترجمة نجلا اسمه « صفائي افندي » تأكد لنا انها ، اي الترجمة ، للشيخ موسى بن جعفر لا لغيره[١٠] .

ويستفاد من هذه الترجمة ان والد صفاء الدين مقيماً في بندنيجين ، ثم رحل الى بغداد حيث اخذ الطريقة (في التصوف) على الشيخ خالد النقشبندي ، مجدد الطريقة النقشبندية في العراق (١١٩٠-١٢٤٢هـ / ١٧٧٦-١٨٢٧م) فجعله هذا « خليفة » له في بلدته بندنيجين . وعندما تولى الوزير داوود باشا ولاية بغداد سنة ١٨١٦م/١٢٣٢هـ قرب اليه واخذ يكاتبه ، وكان الشيخ موسى ينقل الى داوود اخبار التحركات الايرانية على حدود العراق في رسائل يبعث بها اليه . وفي سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م غزا الفرس

احمد : فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل ٨٧/١ و ٢٨٦) .

(٢) ورد ذكره في تذكرة الشعراء ص ٢٢ الا ان ترجمته اختلطت بترجمة الشيخ موسى والد صفاء الدين عيسى البندنيجي فضاعت .

(٤) كان خطاطا عالما ، نسخ بيده بعض كتب النحو المحفوظة في المكتبة القادرية ببغداد .

(٥) محمد صالح السهروردي : لب الالباب (بغداد ١٩٣٢) ١١٢/١ .

(٦) محمود شكري الآلوسي : المسك الاذفر (بغداد) ٢٢ .

(٧) جاء في تعليقة للسيد عمران الندلاوي (مؤرخة في ٦ ذي الحجة ١٢٨٨هـ) على حاشية « تذكرة الشعراء » (النسخة المخطوطة في مكتبة المتحف العراقي) ان والد موسى البندنيجي هو عبدالله بن جعفر ، والذي في المصادر التاريخية التي رأيناها انه موسى بن جعفر .

(٨) اشار احد كتاب مجلة المرشد البغدادية (٢ | ١٩٢٨ | ص ٣٦٨) الى شهرته ومنزلته ، فقال : « وممن اشتهر بعلمه وورعه فيها (اي في بندنيجين) العلامة الشيخ موسى افندي البندنيجي » وذكر انه مدفون « في التكية التي شيدها فيها (اي في مدينته المذكورة) والتي تزار الان ، لما لصاحبها من المنزلة الرفيعة في نفوس ساكني تلك الجهات » .

(٩) الشهرباني : تذكرة الشعراء ٢٨ .

(١٠) انظر : السهروردي : لب الالباب ١١٢/١ ويعقوب سركيس : مباحث عراقية ٢٥٥/١ .

البلدة ؛ وارتكبوا فيها من القتل والنهب والتخريب ما تقشعر لهوله الأبدان ؛ وكانت رسائل الشيخ موسى المذكور قد وقعت بيدهم ؛ فألقوا القبض عليه ؛ واستشهد حرقاً ؛ وهو يتافح عن وطنه .

ويصف الشيخ عيسى البندنيجي اعتداء اولئك الغزاة على بلدته وموطن اسرته عند حديثه عن ابيه واستشهاده بيدهم : « واخذهم لها عنوة ، ونهبهم ما فيها من الأموال . وقتلهم ما شاء الله تعالى من النساء والرجال سنة ثمان وثلاثين [ومائتين والف ؛ في] مستهل ذي القعدة الحرام »(١١) . ومع اننا لم نعثر على تآليف له ، الا انه كان مؤلفاً مؤرخاً له غير تصنيف في معارف عصره ؛ فقد جاء في تعليقه على ظهر غلاف مجموعة خطية في المكتبة القادرية ببغداد ما نصه « والشيخ موسى كان عالماً مفتياً ورعاً ، له تصانيف ، منها: رسالة في اخبار « المندليج » وما جاورها من البلاد وعلمائها واخبارهم ورسائل في السلوك والحقيقة رحمه الله تعالى »(١٢) .

في هذه البيئة الوطنية المثقفة ؛ نشا عيسى صفاء الدين ، وانتسب — وهو لم يزل طفلا بعد — الى الطرق الصوفية المشهورة في عهده ، واهمها : القادرية ، والنقشبندية ، ولا ريب في ان لأبيه واسرته الفضل الاكبر في توجيهه تلك الوجهة ، فقد جاء عنه : انه اشتهر « منذ كان طفلا بالقادري النقشبندي »(١٣) وفسر هو سبب شهرته بالبندنيجي بانه انتساب الى « طريقتنا القادرية البندنيجية المنسوبة الى شيخ مشايخنا السيد علي القادري البندنيجي الكبير .. والى بلدتنا البندنيج ، وهي بلدة من العراق من اعمال بغداد ، وعلى ثلاث مراحل منها »(١٤) .

(١١) شرح القصيدة الرائية وتخميسها الورقة ٢٢ (مخطوط). وكان المتدون الفرس قد نهبوا كل ما صادفوه في طريقهم من مدن وقرى ، ومنها قرى هبهب والخالص وخريسان، ودمروا بساتينها وقطعوا اشجارها ، واتخذت الاحتياطات في بغداد للمحافظة عليها . انظر رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء (ترجمة موسى كاظم نورس . بيروت د.ت) ص ٢٩٩ وعباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ٦ (بغداد ١٩٥٦) ص ٢٧٩ .

(١٢) مجموعة خطية رقمها ٧٤٦ بحسب التسجيل القديم .

(١٣) عبدالفتاح الشواف : حديقة الورود في مدائح ابي الثناء شهاب الدين محمود ، الورقة ١٨٧ (مخطوط) .

(١٤) الاجوبة البندنيجية على الاسئلة الهندية . الورقة ١ (مخطوط) وذكر الاب لويس شيخو في « الاداب العربية في القرن التاسع عشر » (١٠٢/١) ان « اصله من البندبيج (بالباء الموحدة بدل النون) على حدود بلاد العجم » ، وجعل نسبته اليها « البندبيجي » وهذا تحريف ، وقد تسرب الخطا الى « اعيان القرن الثالث عشر » تاليف خليل مردم (دمشق ١٩٧٧) ص ١٨٩ .

(١٥) هذه النسخة في المكتبة القادرية ببغداد ، عماد عبدالسلام رؤوف : الاثار الخطية في المكتبة القادرية ج ٤ (بغداد ١٩٨٠) ص ٥٩ .

(١٦) هذه النسخة في المكتبة المركزية في الموصل . سعيد الديوهجي . مخطوطات المكتبة المركزية في الموصل (بغداد ١٩٦٧) ص ٥ .

(١٧) اجازة علمية من عيسى البندنيجي الى محمد سعد القدسي المكي (مخطوطة) .

دراسته واساتذته :

ليس ثمة ما يدل على ان دراسة الشيخ الأولى كانت تختلف عن دراسة اترابه ، ولكن يظهر ان نبوغه المبكر في قراءة القرآن الكريم ، وترتيله ، وتجويده الخط ، دفعه الى الاستزادة من معارف عصره ، وشجعه على الاستمرار في طلب العلم على ايدي مشاهير علماء العراق في تلك الحقبة .

فمن اساتذته ومشايخه :

١ — ابوه الشيخ موسى بن جعفر القادري البندنيجي (ت ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م) . وكان يرشده ويمده بالمصادر والاصول التي تمينه في دراسته . حتى انه نسخ شرح قصيدة البردة لعبدالرحمن بن اسماعيل ، ابي شامة المقدسي ، بيده سنة ١٢٢٩هـ / ١٨١٣م « لاجل ولده طالب العلم عيسى ، وشيخه الشيخ خالد [النقشبندي] »(١٥) . ونسخ كتاب الحاشية على تفسير الفاتحة للبيضاوي لملا شيخ بن صوفي الياس الأرموي بيده سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م وذلك « لاجل ولده الافخم المحترم عيسى افندي »(١٦)

اخذ عيسى عن ابيه الطريقتين القادرية والنقشبندية ؛ واجيز منه بهما . وكان ابوه اخذهما عن الشيخ حسن القادري البندنيجي البغدادي (وهو والد صهر عيسى) عن والده الشيخ علي الحسيني القادري البندنيجي البغدادي دفين تكيته ببغداد(١٧) .

٢ ـ درويش بن عرب خضر البغدادي[١٨] امين الفتوى ببغداد . وكان هذا ممن « تشد اليه الرحال وتحط عنده »[١٩] فدرس البندنيجي عليه ، وهو لم يزل طفلا بعد ، مبادىء العلوم ، واخذ عنه بسائط الفقه الحنفي ، بروايته (اي شيخه) عن الشيخ حسين افندي الكركوكي ، والحاج موسى سميكة مفتي الحنابلة ومدرس المدرسة المرجانية[٢٠] . وقد اشاد هو بفضل استاذه عليه ، فقال عند حديثه عن الفقه الحنفي : « نرويه ايضا قراءة واجازة عمن رباني بصغار العلوم وانا طفل صغير ، الحاج درويش افندي البغدادي امين الفتوى »[٢١] .

٣ ـ حسين كمال الدين الكركوكي ثم البغدادي الحنفي . استاذ مدرسه الاول درويش المذكور . تتلمذ البندنيجي على يديه عند التحاقه بمدرسة جامع الأحمدية في شرقي بغداد[٢٢] بعد افتتاحها سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م فدرس عليه الفقه الحنفي ، وروى عنه بعض كتب الفقه المشهورة ، رواية عن استاذه العلامة احمد الطبقجلي (المتوفى سنة ١٧٩٨م/١٢١٣هـ)[٢٣] كما روى عنه الجامع الصحيح للامام البخاري رواية عن شيخه مصطفى الكردي الدمشقي ، عن محمد الكزبري عالم الشام ومحدثها ، بسنده الى الامام البخاري . وروى عنه ايضا « مشكاة المصابيح » لمحمد بن عبدالله الخطيب التبريزي ، رواية عن استاذه محمد بن سلمان المدني عن ابي الطاهر الكوراني عن ابيه برهان الدين بن حسن الكوراني[٢٤] بسنده الى مؤلفه التبريزي[٢٥] و « تفسير انوار التنزيل واسرار التاويل » لعبدالله بن عمر البيضاوي ، وجملة من كتب الفقه المهمة ، منها « كنز الدقائق » لحافظ الدين النسفي ، وشرح « السراجية » في الفرائض للسيد الشريف الجرجاني ، وربعا من كتاب « الهداية » في فروع الحنفية لبرهان الدين علي المرغيناني الحنفي ، واجيز منه اجازة علمية عامة[٢٦] .

٤ ـ ضياء الدين خالد بن احمد النقشبندي المجددي (المتوفى بدمشق سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م) مجدد الطريقة النقشبندية في العراق . اخذ البندنيجي عنه الطريقة المذكورة ، ولبس على يديه الخرقة الصوفية[٢٧] ونال منه الاجازة العلمية ثلاث مرة : الاولى : بقراءة ختم الخواجكان النقشبية[٢٨] سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م وذلك في اثناء اقامة الشيخ خالد في التكية الأحسائية بشرقي بغداد . والثانية : اجازة عامة ، سماعا وشفاها ، سنة ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م بعد ان قرا عليه «المصابيح» للامام حسين بن مسعود الفرّاء البغوي ، وشرح العقائد العضدية لجلال الدين الدواني . والثالثة : اجازة عامة ارسلها اليه من دمشق سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م او ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م ، وعزاه فيها باستشهاد والده سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م[٢٩] .

وسمع البندنيجي من شيخه خالد بعض كتب الحديث ، فروى عنه الجامع الصحيح

---

(١٨) ورد اسمه في تمليك له على كتاب جامع المسائل (مخطوط في الكتبة القادرية برقم ٣٢٣ الاثار الخطية ١٠٩/٢) : على النحو الاتي « درويش بن محمد بن خضر البغدادي » .

(١٩) حديقة الورود ، الورقة ٧ (مخطوط) .

(٢٠) من علماء بغداد البارزين ، تخرج على العلامة السيد حيدر الحيدري مفتي الحنفية ببغداد ، وعلى السيد عبدالله الحيدري ، وتصدر للتدريس في المدرسة المرجانية على المذاهب الاربعة ، توفي سنة ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م . ابراهيم فصيح الحيدري : عنوان المجد .

(٢١) تراجم الوجوه والاعيان ، ص ١٣٦ (مخطوط) .

(٢٢) من مساجد بغداد الكبيرة ، يقع في سوق الميدان ، يطل على ساحته ، بناه احمد بك الكتخدا سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م ، والحق به مدرسة علمية ، ولم يتم عمارتها ، اذ قتل في السنة نفسها ، فاتم اخوه عبدالله بك عمارة المدرسة والجامع فافتتحا سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م .

(٢٣) من ابرز علماء عصره ، تولى الافتاء ببغداد . وترجم له ياسين العمري : غاية المرام (بغداد ١٩٦٩) ص ٢٦٣ ، والالوسي في المسك الاذفر ص ٨٩ ، وحديقة الورود ج ١ (مخطوط) .

(٢٤) عالم جليل توفي سنة ١١٠١هـ/١٦٨٩م ، وله كتاب مهم ذكر فيه مشايخه وسلاسل اسناده ، وهم طائفة كبيرة من علماء الشام والحجاز ، وفيه نبذ من تراجمهم ، وكثيرا ما نقل عنه البندنيجي ، عند ذكر اسانيده ، او احال عليه . منه نسخة في المكتبة القادرية برقم ٢٠٨ (الاثار الخطية ٢٥٤/١) .

(٢٥) لم يرد هذا الهامش في الاصل (المورد) .

(٢٦) مشيخة البندنيجي (مخطوط) .

(٢٧) مسلسلات ابن عقيلة (مخطوط) .

(٢٨) من اركان الطريقة النقشبندية وتقاليدها ، وتستدعي تدريب المريد على ما يقصده الشيخ من توجيه .

(٢٩) اجازة من عيسى البندنيجي الى محمد سعيد القدسي (مخطوط) وشرح القصيدة الرائية (مخطوط) الورقة ٣٢ .

للامام البخاري ، رواية عن شيخه مصطفى الكردي الدمشقي عن محمد الكزبري محدث الشام بسنده الى الامام البخاري[٣٠] .

٥ ــ عبدالرحمن بن حسين بك الروزبهاني الكركوكي ثم البغدادي . وكان « من اكابر العلماء العاملين المحترمين ، ذا جاه ووقار وتؤده وبهاء وكرم .. اخذ عنه علماء فحول كثيرون ، وانتفع به الناس انتفاعا عاما ، ودرس العلوم اربعين سنة متوالية »[٣١] ، فكان من جملة تلامذته ، الشيخ عيسى البندنيجي ، فأخذ عنه العلم ، وروى عنه بعض كتب التفسير[٣٢] . وقد عثرنا على نسخة من « العقائد النسفية »[٣٣] قراها عليه سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م[٣٤] .

٦ ــ يحيى بن خالد المزوري العمادي (المتوفى سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) وهو من علماء العراق ودهاته في المائة الثالثة عشرة (١٩م) ، ووصفه معاصروه بأنه « عالم العلوم بلا شقاق وحبر علماء الآفاق »[٣٥] فتلمذ البندنيجي على يديه في الفترة الممتدة من ١٢٤٢ الى ١٢٤٥هـ / ١٨٢٦ ــ ١٨٢٩م وعن طريقه تعرف على عدد من مشايخ الشام وعلمائها ، ممن كان المزوري قد اخذ عنهم العلم ابان اقامته بدمشق سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩١م[٣٦] ، فروى عنه الجامع الصحيح للامام البخاري[٣٧] ، ودرس عليه فقه الحنفية[٣٨] ، واخذ عنه الاحاديث المسلسلة لابن عقيلة المكي[٣٩] .

٧ ــ عثمان بن سنة الوائلي البصري ثم البغدادي (المتوفى في حدود سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) مؤرخ سيرة داود باشا والي بغداد .

(٣٠) مشيخة البندنيجي الورقة ٧ (مخطوط) .
(٣١) ابراهيم فصيح الحيدري : عنوان المجد .
(٣٢) مشيخة البندنيجي الورقة ١٣ .
(٣٣) لم يرد هذا الهامش في الأصل (المورد) .
(٣٤) مخطوطة في المتحف العراقي (مجموعة رشيد عالي الكيلاني) برقم ٤٢١ (اسامة النقشبندي : مخطوطات خزانة رشيد عالي الكلاني . مجلة المورد مجلد «٥» (بغداد ١٩٧٦) عدد ٢ ص ٢٠٩ .
(٣٥) ياسين العمري : غاية المرام ١٠٩ . وانظر عنوان المجد ١٢٥ ــ ١٢٦ ومحمد امين زكي : مشاهير الكرد وكردستان ٢٢٢/٢ .
(٣٦) شرح القصيدة الرائية الورقة ٣٠ .
(٣٧) مشيخة البندنيجي (مخطوط) .
(٣٨) المصدر نفسه .
(٣٩) مسلسلات ابن عقيلة (مخطوط) .

روى عنه البندنيجي الجامع الصحيح للامام البخاري بروايته عن مفتي المدينة زين العابدين بن باعلوي المدني الشهير بجمل الليل (المتوفى سنة ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م) بسنده للامام البخاري[٤٠] . وروى عنه « دلائل الخيرات » لمحمد بن سليمان الجزولي بروايته عن عبدالله البيتوشي الالاني (المتوفى سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م) عن احمد بن غردقة الاحسائي عن احمد بن محمد النخلي المكي عبدالرحمن المكناسي بسنده الى مؤلفه[٤١] .

٨ ــ عبيد الله الحيدري البغدادي مفتي الحنفية ببغداد ، واول « خليفة » للشيخ خالد النقشبندي . درس عليه البندنيجي واخذ عنه العلم[٤٢] .

رحلته ومن اتصل بهم في اثنائها :

ونستدل من تصريح البندنيجي في بعض اسانيده وحواشيه بأخذه العلم عن معاصريه من غير العراقيين ، انه قام برحلة طويلة في عدد من الاقطار العربية والاسلامية . فقد ارخ إجازته للشيخ محمد سعيد القدسي المكي في مكة سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م[٤٤] ، فيكون اداؤه الفريضة في هذا العام . لكننا لا نستطيع تحديد المدة التي مكث فيها في الديار الحجازية اذ لم يشر أحد الى شيء عن رحلته تلك . وكل ما علمناه انه اخذ في مكة والمدينة عن علماء اعلام ، وانه اجاز بعض اهل الانحاء بالطريقتين القادرية والنقشبندية[٤٥] .

والتقى البندنيجي ، وهو في المدينة المنورة ، بوالي بغداد الاسبق داود باشا ، وكان هذا يقيم في قصره هناك معززاً مكرماً[٤٦] . فنزل الشيخ

(٤٠) مشيخة البندنيجي ، الورقة) .
(٤١) المصدر نفسه .
(٤٢) مسلسلات ابن عقيلة (مخطوط) ومشيخة البندنيجي ، الورقة ١٨ .
(٤٣) عنوان المجد ص ١٤٧ و ١٤٩ .
(٤٤) اجازة من البندنيجي الى محمد سعيد القدسي (مخطوط)
(٤٥) مسلسلات ابن عقيلة (مخطوط) .
(٤٦) يذكر امين الحلواني المدني في كتابه « خمسة وخمسون عاما من تاريخ العراق » الذي اختصره من « مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود » لعثمان بن سند ، ان داود باشا مكث في القسطنطينية مكرما حتى ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م ثم ارسله السلطان عبدالمجيد شيخا للحرم النبوي ، فبقي هناك الى وفاته سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م (القاهرة : ١٣٧١) ص ٤ .

ضيفا عليه في قصره . يقول : « وشرفني بالنقل الى منزله المبارك ، والتحويل في بيت شرفه الذي لا يتبارك ، واحلني دار كرامة التي لا تدارك من نزل من الوزراء والقروم منزلة البدر من النجوم ... داوود باشا والي بغداد السابق » .

والتقى ايضا بعدد من كبار رجال الدولة العثمانية . قال : « وفزت بمصاحبة بعض الافاخم والأعيان من رجال تلك السدة القويمة ، منهم ... احمد زيور افندي دفتردار روم ايلي .. ولم نزل نجتمع اكثر الايام والليالي ، ويدور فيما بيننا من الابحاث ما يزري باللالي ، نتحدث تارة عن الحقائق الصوفية ، ونستفيض من كلمات تلك الطائفة الصفية »[47] . ولقد ضمت تلك المساجلات ، التي نقل البندنيجي صورة منها ، احاديث ادبية ممتعة ، وآراء لغوية بديعة ، والغازا ادبية ذهنية ، مما كان مألوفا في تلك الايام . وكان للبندنيجي في ذلك كله القدح المعلى والذكاء الوافر.

وفي منتصف سنة ١٢٦١هـ/١٨٤٥م غادر الشيخ مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) متوجها الى دمشق ، فمكث فيها نحو ستة أشهر، اخذ في اثنائها عن جملة من علماء الشام البارزين ، ونال منهم الاجازات العديدة ، منهم : العلامة عبدالرحمن بن محمد الكزبري الدمشقي عالم الشام ومحدثها (المتوفى بمكة حاجا سنة ١٨٤٦م/١٢٦١هـ)[48] فدرس عليه ، وروى عنه مجموعة كبيرة من المصنفات ، منها : كتب الحديث النبوي ، وبعض كتب السيرة ، والتفسير ، وكتب العقائد والكلام ، وكتب الادب واللغة ، ومتون الفقه ، وكتب التصوف واوراده[49] . قال عند كلامه على كتاب مسلسلات ابن عقيلة « حدثني به محدث الشام شيخنا انهمام الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ محمد الكزبري في دمشق الشام ، وهو أول حديث سمعته منه في يوم الجمعة الثالث من شهر جمادى الأولى من شهور سنة ١٢٦١ »[50] وقال في صدد حديثين مسلسلين « حدثني واضافني عليهما ، شيخي الشيخ عبدالرحمن الكزبري في دمشق الشام في المدرسة السليمانية[51] رابع جمادى الاولى من شهور سنة ١٢٦١ »[51] وقال في موضع آخر : « قرات الفاتحة مرتين في مجلسين في المدرسة السليمانية في دمشق الشام على شيخنا الشيخ عبدالرحمن الكزبري واجازني بقراءتهما عن والده »[52] .

واخذ ايضا ، وهو في دمشق ، عن الشيخ حامد بن احمد العطار ، فروى عنه مصنفات الشيخ محيي الدين عبدالقادر الكيلاني[53] وبعض مسلسلات ابن عقيلة[54] .

كما اخذ عن الشيخ الحاج عمر افندي الكوسجي الآمدي امام الحنفية في الجامع الاموي ، وروى عنه « المسند » للامام الاعظم ابي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، رواية عن العلامة محمد مرتضى الزبيدي شارح القاموس بسنده الى جامعه[55] .

ومن دمشق غادر البندنيجي الى القسطنطينية ، فقد وجدنا له رسالة اتم نسخها فيها في ٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م[56] وكان قد ذكر ، عند بدء رحلته انها : « لمصالح هي إن شاء الله مقضية »[57] دون ان يفصح عن طبيعة تلك المصالح واهميتها .

ويظهر ان مقام البندنيجي لم يطل في القسطنطينية ، اذ وجدناه في المدينة المنورة سنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م يأخذ العلم عن الشيخ علي بن يوسف الملك الباشلي المدني[58] ولا نعلم تاريخ

---

(٤٧) البندنيجي : رسائل الفاز (مخطوط) .

(٤٨) ولد سنة ١١٨٤هـ/١٧٧١م ، واليه تنتهي جملة من اسانيد العراقيين . له « ثبت الكزبري » ذكر فيه مشايخه ومسانيده . اسماعيل البغدادي : ايضاح المكنون ١/٢٤٥ والزركلي : الاعلام ٤/١١٠ .

(٤٩) مشيخة البندنيجي (مخطوطة) وفيها تفاصيل اسانده . واشار الى ذلك ايضا في جميع ما كتبه من اجازات علمية لتلامذته .

(٥٠) من مدارس دمشق الكبرى ، تم بناؤها عام ٩٧٣هـ/١٥٦٦م بامر السلطان سليمان القانوني ، وهي ملحقة بالتكية السليمانية ، احدى اشهر تكايا العثمانيين في دمشق . انظر : مجلة الحوليات الاثرية السورية المجلد ٧ ، السنة ١٩٥٧ .

(٥١) مسلسلات ابن عقيلة (مخطوط) .

(٥٢) المصدر نفسه .

(٥٣) مشيخة البندنيجي ، الورقة ١٥ .

(٥٤) مسلسلات ابن عقيلة .

(٥٥) مشيخة البندنيجي ، الورقة ١١ .

(٥٦) الاثار الخطية في المكتبة القادرية ٥/٢٨٩ .

(٥٧) رسائل الفاز البندنيجي (مخطوط) .

(٥٨) اجازة من البندنيجي لنعمان خير الدين الالوسي في ١٢٨١هـ (مخطوط) واجازة اخرى للسيد عبداللطيف الراوي (مخطوط) .

عودته الى بغداد ، وقد وجدنا له تمليكا على بعض الكتب مؤرخا في سنة ١٢٦٢هـ[٥٩] والظاهر انه اقتناه في اثناء إقامته في تلك الديار .

صلاته العلمية :

كانت للبندنيجي صلات علمية واسعة بمعاصريه من شيوخ وطلبة ، وعارفي فضله في العراق وخارجه ، وتكشف هذه الصلات عن صورة الحياة الثقافية في العراق في القرن الثالث عشر (١٩م) .

فمن ابرز هؤلاء ، والي بغداد العالم الاديب داود باشا (١٢٣٦ – ١٢٤٧هـ/١٨٢٠ – ١٨٣١م)؛ وكان « يلاحظه ، وكان يمدح علمه وذكاءه »[٦٠] ، وقد رتبه رئيسا للمدرسين في «المدرسة الداودية» في جامع الحيدر خانة سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م ؛ ولبثت صلته به قائمة حتى بعد سقوط حكم داود نفسه ، وقد مر بنا ان البندنيجي وصل الى المدينة المنورة سنة ١٢٦١هـ/١٨٤٥م ، فكان داود باشا أول من دعاه الى النزول مكرما في داره هناك .

ولم تمس مكانة الشيخ بسوء في عهد والي بغداد التالي علي رضا باشا اللاظ ، على الرغم من ان الأخير لم يترك وسيلة الا استخدمها في ضرب اصحاب داود باشا والمقربين اليه من علماء واشراف وتجار[٦١] . بل انه ابقاه في جميع مناصبه العلمية ، وقربه اليه ، واحترمه . وكلفه ذات مرة الرد على رسالة وردت عليه من مسمي لاهور في الهند تتعلق ببعض مسائل الاعتقاد ، فأفاض الشيخ في رده بالثناء على الوالي المذكور ، واصفا إياه « بالناقد البصير ، مروج سوق العلم والعرفان ، ومحيي آثار الفضل والاحسان »[٦٢] .

وكانت للشيخ صداقة وطيدة بالسيد محمود بن زكريا الكيلاني شيخ الطريقة القادرية ونقيب الاشراف ببغداد[٦٣] . وكان البندنيجي ، بوصفه قادري الطريقة ، يعده شيخه الأول في التصوف ، وهو يقول « إني مولع بخدمة هؤلاء الفحول ، ومجبول على حبهم وتلقي ما ورد عنهم بالقبول »[٦٤] . ويصف السيد محمود المذكور « بذي الحسب الباهر والنسب الطاهر ، خادم سجادة جده الطيب الأسلاف والاخلاف ، شيخ مشايخ القادرية ، ونقيب اشراف من اناف علو نسبه على الجوزاء والثريا[٦٤أ] » ومما دل على مكانة الشيخ لدى النقيب ، الحاح الأخير عليه بتعريب كتاب « جامع الأنوار » والزيادة عليه زيادة اخرجته من صفة الترجمة الى صفة التاليف .

وجمعت الصداقة بينه وبين العالم المفسر الاديب ابي الثناء شهاب الدين محمود الالوسي (المتوفى سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م) فوصفه بقوله : « الأخ الصفي ، والخل الوفي ، اليفي مذ كنت طفلا ، وخليفي اذ صرت كهلا .. احب احبابي واخص اخلائي .. السيد محمود افندي الآلوسي »[٦٥] . ولما انجز الالوسي تاليف تفسيره الكبير « روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني » قرظه البندنيجي ، واثنى عليه ، ونشر تقريظه في الجزء الأول من التفسير مصدرا بكلمة ، جاء فيها : إنه « لحضرة ثالث الشمس والقمر ، المحقق المحلق في جو سماء الحقيقة ، بجناحي الشريعة والطريقة ، أبي الهدى صفاء الدين عيسى افندي ، المشهور منذ كان طفلا بالقادري النقشبندي »[٦٦] .

وللبندنيجي صلات أدبية ومراسلات مع شاعر عصره عبدالباقي بن سليمان العمري الشهير بالفاروقي (المتوفى سنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م . ولما نظم العمري قصيدته الرائية في مدح الشيخ ابن عربي وخمسها استجابة لطلب علي رضا باشا اللاظ والي الشام (قبل توليه بغداد) ، ارسل اليه البندنيجي تقريظا بديعا هنأه فيه بجودة نظمها

---

(٥٩) الآثار الخطية ٢/٢٣٢ .

(٦٠) تذكرة الشعراء ص ٣٤ .

(٦١) صالح السهروردي : نبذة من تاريخ حوادث ولاة بغداد . وهي فصول من مخطوطة للشيخ عبدالمحسن السهروردي المتوفى سنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م (مجلة المرشد البغدادية ١٩٢٩ ص ٣٠٥) .

(٦٢) الاجوبة البندنيجية على الاسئلة اللاهورية ، الورقة ٣ (مخطوط) .

(٦٣) ولي النقابة سنة ١٢٣٠هـ/١٨١٤م وعزل عنها سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٨م فتولاها بعده السيد عبدالعزيز بن عبدالقادر ، وبعد وفاته سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م عاد اليها السيد محمود وبقي فيها حتى وفاته سنة ١٢٥٨هـ/١٨٤٠م

(٦٤) تراجم الوجوه والاعيان ، ص ١١ (مخطوط) .

(٦٤أ) الاجوبة البندنيجية ، الورقة ٢ (مخطوط) .

(٦٥) تراجم الوجوه والاعيان ، ص ١٢ .

(٦٦) حديقة الورود الورقة ٥ ، وعباس العزاوي : ذكرى ابي الثناء الآلوسي (بغداد ١٩٥٨) ص ١١ .

وحسن معانيها . ثم إنه شرحها ـ بطلب من ناظمها ـ شرحا جميلا باللغة التركية[٦٧] ونشر التقريظ بحرفه في ديوان عبدالباقي العمري المسمى : « الترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي » ، مزينا بالثناء على مرسله « جناب دائرة الكمال ، وروح هياكل الفضل والإفضال ، الشيخ عيسى البندنيجي ، قدس سره الكريم المتعال »[٦٨] .

حياته العلمية :

اشتغل البندنيجي بالتدريس في اغلب حياته العلمية ، وكانت جميع مناصبه التي شغلها ذات علاقة به ، فتارة يدرس في التكية البندنيجية القريبة من مسجد الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، واخرى في المدرسة الداوودية بجامع الحيدرخانة ، او في زاويته ، التي عرفت بالزاوية البندنيجية نسبة اليه . وكان لا يقتصر في تدريسه على وقت معين ، وفي ذلك يقول السهروردي : « تجده يدرس طوراً ، ويؤلف تارة ، سواء في ذلك ليله ونهاره »[٦٩] .

وشاهده بعض معاصريه ، وهو يدرس في كل من المدرسة الداوودية والتكية البندنيجية في اليوم الواحد ، فقال : « فلما داوود باشا عمر جامعا كبيراً ، وعمر فيه مدرسة وكتبخانة نصبه مدرسا فيها ، والى الان كل يوم صباحا ينشر العلوم ، وايضا صاحب طريقة يجلس في تكية السيد علي البندنيجي قدس سره .. وهو الآن مستقيم في تكيته المذكورة ، وكل يوم صباحا يقدم الى مدرسة داوود باشا ، وبعد الظهر يرجع الى التكية ، شكر الله سعيه »[٧٠] .

وازداد عدد تلامذته على نحو باهر . قال الآلوسي : « كم تخرج عليه من الاذكياء واجلة المحصلين ، وانتفع به من قرا عليه ، واناخ مطايا التحصيل بين يديه »[٧١] . وذكر السهروردي انه « لقب براس المدرسين ابي الهدى عيسى صفاء الدين ، تخرج به خلق كثير ، واجاز الجم الغفير .

كان يدرس في مدرسة داوود باشا وعليه اقبال عظيم ، احيا العلوم بعد ان خبا نورها وتضاءل نبراسها زمناً طويلا »[٧٢] .

ومن تلامذته المعروفين :

السيد عبدالرحمن بن علي الكيلاني (١٢٦١ ـ ١٣٤٥هـ/١٨٤٥ ـ ١٩٢٦م) نقيب الاشراف ورئيس اول حكومة اهلية في العراق .

الشيخ قاسم القواص بن الملا محمد بن الشيخ بكر الطائي (١٢٤٥ ـ ١٣١٧هـ/١٨٢٩ ـ ١٨٩٩م) وقد لازمه واجيز منه بكل علومه .

الشيخ العلامة نعمان خير الدين بن محمود الآلوسي (١٢٥٢ـ١٣١٧هـ / ١٨٣٦ ـ ١٨٩٩م) وقد اجيز منه اجازة عامة .

الشيخ عبدالسلام النواف (المتوفى سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م) وقد « اكب عنده على التحصيل الى ان فات رتبة التكميل ، فأجازه بكل ما تجوز له روايته ، وتصح له درايته »[٧٣] .

الشيخ قاسم خير الدين بن محمد البياتي البغدادي (المتوفى سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م) وقد اجيز منه سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م بعد أن قرأ عليه العلوم في المدرسة الداوودية بجامع الحيدرخانة .

الشيخ حبيب الكروي (المتوفى سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) احد علماء بغداد البارزين .

الشيخ عبداللطيف الراوي احد علماء بغداد، وقد اجازه باسانيده في مجالس متعددة قراءة ورواية[٧٤] .

وهناك تلامذة عديدون درسوا عليه واستفادوا منه ، سواء اكان ذلك في بغداد ، ام في اثناء رحلاته الى الشام والحجاز ، وسنذكر ، في كلامنا على آثاره ، عدداً من إجازاته العلمية لاولئك العلماء .

اخلاقه وسجاياه :

كان للشيخ ميل الى العزلة والابتعاد عن

---

(٦٧) شرح القصيدة الرائية / المقدمة (مخطوط) .

(٦٨) عبدالباقي العمري الترياق الفاروقي (النجف ١٩٦٤) ، ص ١٧٩ .

(٦٩) لب الالباب ١١٢/١ .

(٧٠) تذكرة الشعراء ٢٤ .

(٧١) المسك الاذفر ١٣١ .

(٧٢) لب الالباب ١١٢/١ .

(٧٣) علي علاء الدين الآلوسي : الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر بتحقيق عبدالله الجبوري وجمال الدين الآلوسي (بغداد ١٩٦٨) ، ص ١٠٧ .

(٧٤) اجازات علمية مختلفة لعلماء بغداديين وانظر لب الالباب ١١٢/١ و ١٠١ و ١٢٠ و ١٢٤/٢ و ٢٢٦ .

الناس ، والظاهر ان ذلك عائد الى طبيعة تكوين نفسه ، لا الى حياته الاجتماعية . فقد كان ـ على ما نعلم ـ مشمولا برعاية ولاة بغداد ، متصدرا لأعلى المناصب العلمية ، له واردات تاتيه من اراض يملكها في بندنيجين(٧٥) . واغلب الظن ان حزناً عميقا ـ لا نعلم سببه ـ كان يكمن في نفسه ، فيشتت باله ، ويكثر من ملله ، ولا يمكنه من التآلف مع مجتمعه . والمتفحص لكتبه واجد فيها عدة نصوص متناثرة تفصح عن ذلك الشعور الغريب الذي كان يغمر نفسه ، ويملؤها قنوطا وكآبة . من ذلك قوله في مقدمة كتابه « تراجم الوجوه والاعيان » الذي عربه وضاعفه تعنيفا واضافة ، ما نصه :

« فبينما انا في غصص الزمان ، اتجرع مرائرها فيه آنا فآن ، لما انا في زمان اندرست فيه المعالم وهوت روقنها ، وفشت الجهالة وقامت على سوقها سوقها ، ولم يزل متبحر العلم في كساد ، وبضاعة الجهل على نفاق وازدياد ، فطورا اعاتب دهري الخؤون ، وابث ما لدي من الشجون ، وطوراً اسلي نفسي عما انا فيه ، بان عسى ان الاقي زمنا يكون حاله خيراً من ماضيه »(٧٦) . وقال في موضع آخر ، واصفا ضيق نفسه وكدره : « ضاقت بي السبل والمسالك ، وحكى نهاري ليلي الحالك ، ابات (أ) ارعى النجوم ، واتقلب تقلب اللديغ المسموم ، وليس لي في العراق راق ولا ترياق »(٧٧) .

ونجده في موضع آخر ، يشكو من « تفرق الحال ، وتشتت البال ، وكثرة الملال ، وفرط البلبال »(٧٨) . فليس ببعيد ان يكون شعوره هذا هو الذي ادى به الى الاقلال من التاليف ، مع كثرة علمه ، وعدم الميل الى مقابلة الحكام وذوي النفوذ ، مع تقديرهم له ، وقصر مجالسه على تلامذته من إلقاء للدروس ، وبحث في الأمور العلمية .

ولقد اثنى معاصروه على دماثة اخلاقه ، وتواضعه ، وتقاه ، وحلمه . فذكر مترجمه المجهول انه كان « ذا اخلاق ارق من النسيم ، الوفا ، ودوداً ، مصغيا ، منصتا ، مكرما متواضعاً ، وقوراً مزوحاً بوقار ، اديباً نجيباً محبوبا .. كريما صالحا دينا ، متقيا ، ذا طريقة وعبادة ، وعشق وفراسة وخيال وجمال . لا يكدر احداً ولا يسب ولا يعبس ، قليل الغضب حليما ، بشوشا صفوحا ، سليم القلب ، يتصدق سراً . لا يترك الجماعة . والقرآن والاوراد والصلوات والاستغفار والتسبيح والتهجد .. غالبا على نفسه ، قليل الضحك والمجون والهزل »(٧٩) .

وشبيه هذا ما ذكره الشيخ محمود شكري الآلوسي ، وكان قد عاصره في صباه ، من انه « لم يترك الجماعات وقراءة القرآن والاوراد ، وكل ما فيه فلاح ، يتهجد في الليل وغالب الناس نيام ، ذو صدقة خفية على الفقراء والأرامل والايتام » ، وقال : « والحاصل انه كان جامعا للمحاسن المحمودة ، والمزايا السديدة ، ذا علم ووقار ، وتقوى واصطبار »(٨٠) .

وقدم لنا مترجمه المجهول صورة دقيقة لشكله وهيأته ، فقال : « كان ـ عليه الرحمة ـ متوسطا في الطول والضخم ، قوي البنية ، متوسط الكف والقدم ، بهي المنظر ، حسن الصورة ، بين البياض والسمرة ، احمر ، واسع العينين ، عريض الجبين ، خفيف الدم ، احمر الشفتين ، صغير الفم ، لطيف الأسنان ، اسود الشعر ، لا بالبسيط ولا بالقطط ، طويل العنق ، مهدل الاكتاف ، واسع الصدر ، معتدل القامة »(٨١) .

مواهبه وعلومه :

كان لذكاء البندنيجي الخاص ، ونبوغه الفطري ، الذي بلغ خبره « حد التواتر »(٨٢) اثر كبير في سرعة اخذه العلم ، وقدرته على حفظه ،

(٧٥) تراجم الوجوه والاعيان ص ٢ (ترجمة للبندنيجي مجهولة الكاتب) .
(٧٦) تراجم الوجوه والاعيان ، ص ٨ .
(٧٧) شرح القصيدة الرائية / المقدمة (مخطوط) .
(٧٨) تراجم الوجوه والاعيان ، ص ١١ .
(٧٩) المصدر نفسه ، ص ٢ .
(٨٠) المسك الاذفر ، ص ١٣١ .
(٨١) مجهول : ترجمة البندنيجي ، ص ١ .
(٨٢) تذكرة الشعراء ، ص ٣٤ .

والاستفادة منه . ويبدو انه كان يتميز ببعد نظره قياسا الى اهل عصره ، وبسعة افقه ؛ الى حد انه كثيرا ما كان يشكو من فشو الجهل حوله ؛ واندراس العلم ؛ وكساد بضاعة العالم المتبحر(٨٢)؛

ولقد دفع شعور الشيخ بامتيازه الفكري الى إلمامه بعلوم ومعارف كثيرة متنوعة ، فاتقن « العلوم الشرعية » كالتفسير والحديث ؛ والفقه اصوله وفروعه ، والعقائد ؛ والجدل والمناظرة ، والتصوف . واجاد العلوم الادبية ، كالتاريخ والسير واللغة والادب . بل ولج في العلوم البحتة؛ وبخاصة علمي الطب والكيمياء ، فضلا عن تعلمه لغات حية مختلفة ، واتقانه لآداب بعضها ، منها العربية والتركية والفارسية والكردية ؛ ولغة اوربية واحدة هي الفرنسية ، ولا ندري اين تعلمها !

قال العلامة محمود شكري الآلوسي : « كان ــ رحمه الله ــ طويل الباع في جميع العلوم، راسخ القدم في كل فن من منطوق ومفهوم ؛ ولاسيما علم النحو والصرف والمنطق . والبيان والفقه والاصول والتاريخ والحديث والتفسير والكلام والجدل ، فانه كان في جميع هذه الفنون جبل علم لا يطاول ، وبحراً لا يساجل ، واسع الاطلاع في اللغة العربية ، كما انه كذلك في اللغة التركية والفارسية . وله اقتدار على الإنشاء في جميع هذه اللغات ، كما ان له حظاً في جميع ما ذكر من غير مبالغات . وكان مفرط الذكاء ، جيد الفطنة ، حسن الإدراك ، سريع الانتقال ، قوي الفهم ، حاضر الجواب .. حافظاً للمتون من جميع الفنون ؛ عارفاً بالطب والرمل وغير ذلك من الفنون الغريبة والاسرار العجيبة »(٨٤) .

وجاء في ترجمة خطية ، غير معروفة الكاتب، مثبتة في اول كتابه « تراجم الوجوه والأعيان » انه « كان فصيح الكلام عذبه ، ذكياً جيد الفطنة والإدراك والانتقال والفهم ؛ حاضر الجواب ، خفيف الروح ؛ جسراً عاقلا مدبراً .. ذا حافظة قوية ، ونظم لطيف ؛ ونثر عال ، وانشاء في الالسن الغريبة ، ومعرفة للالسن مثل العربي والفارسي والتركي والكردي والفرانساوي ، وخط بديع في جميع ذلك وغيره . شفاف الطبع ، مرتب الهيأة ، عالماً بالنحو والصرف والمنطق والفقه والأصول والكلام والجدل والحديث والتفسير والتاريخ وغيرها من العلوم العقلية والنقلية .. ذا دقة في الامور وحسن توقيع لها ؛ حسن الرمي والسباحة ، مهيىء الأسباب لكل امر ، عارفاً بالطب والرمل ونحو ذلك »(٨٥) .

وبلغ من مهارة البندنيجي ، في فن الخط وضروبه ، انه عد « من ائمة الخطاطين » وقد تخرج في هذا الفن على اشهر خطاطي عصره : الاستاذ سفيان الوهبي (المتوفى ببغداد سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م)(٨٦) . وكان يجيد خط النسخ والتعليق والنستعليق(٨٧) إجادة تامة ، ونسخ بهذه الخطوط لنفسه كتباً وحواشي ورسائل عديدة(٨٨) ؛ سوف نأتي الى الكلام عليها عند وصفنا محتويات خزانة كتبه .

ولعل معرفته بتركيب العقاقير والكيمياء هي ما عناه الآلوسي عند حديثه عن معرفته « بالفنون الغريبة والاسرار العجيبة » فقد اكد بعض معاصريه إلمامه بما كان يعرف بسر الصنعة : وهي الزعم بامكان تحويل المعادن الرخيصة الى اخرى نفيسة . وفي هذا حدث تلميذه الشيخ قاسم الغواص (المتوفى سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م) ان البندنيجي علمه ، وعلم تلميذا له اسمه محمد

---

(٨٢) تراجم الوجوه والاعيان ، ص ٢ .

(٨٤) المسك الاذفر ، ص ١٣٠ .

(٨٥) تراجم الوجوه والاعيان ، ص ١ـ٢ .

(٨٦) من اشهر خطاطي بغداد ، تخرج على الاستاذ درويش الذكائي ، وصار استاذا في فن الخط ، تخرج عليه كثيرون، وكان حسن الخط يجيده بضروبه ، ويحسن تزويق اللوحات والكتب . وهو من مماليك الوزير سليمان باشا والي بغداد ، وقد دفن في جامع الاحمدية ببغداد . ابراهيم الدروبي : البغداديون اخبارهم ومجالسهم (بغداد ١٩٥٨) ، ص ٢٥٣ .

(٨٧) النستعليق : ضرب من الخط، يجمع بين النسخ والتعليق.

(٨٨) لعل ابدع ما خطه بيده ، كتاب الله العزيز ، مزودا بترجمة فارسية ، ومذهبا ومزينا على ابدع صفة ، وكان محفوظا في مكتبة السيد ظاهر البندنيجي (المتوفى سنة ١٩٨٠م) في مندلي .

طريقة صناعة الذهب ، وذكر انه جربها بنفسه فنجحت . قال : « فلما جن الليل قمت بالعمل ، فشاهدت هالة من النور قطرها خمسة سنتمترات ، تدلى منها سلك ذهبي ، فاخذت منه مقداراً بقدر الجوزة وانهيت العمل . ولما اصبح الصباح ، ذهبت الى سوق الصاغة ، وبعته كذهب صاف بعد ان اكدت للصائغ المشتري ان يفحصه فحصا دقيقاً ، ويذيب قسماً منه ليتاكد من صفاته ، ففعل ، وكانت النتيجة صحيحة »(٨٩) .

شعره :

اشار اغلب مترجمي البندنيجي الى ان له « نظماً لطيفاً »(٩٠) لكنهم لم يوردوا اي انموذج من نظمه . والظاهر انه لم يعن بجمع شعره ، ولم يهتم به . ولقد افادني السيد هاشم بن صفاء الدين ابن عبدالله بن الشيخ عيسى صفاء الدين البندنيجي ، انه راى مجموعة من اشعار جده مدونة في اوراق ، بغير ترتيب ، ولكنها تفرقت وضاعت منذ عهد لا يتذكره . وقد بحثنا عن شيء من شعره في كتبه ورسائله ، فلم نعثر فيها على ضالتنا ، خلا ابيات قليلة ، منها بيتان نظنه نظمهما الى العربية نظماً(٩١) ، وهما من الوافر :

ايا من جل عن وصفي صفاتك
وليس تحد بالتعريف ذاتك
إذا كان الاله عليك اثنى
فانّى تنتهي عدداً سماتك

وله اشعار بالتركية والعربية اجاب فيها على الفاز عرضت عليه ، منها قوله ، جواباً على لغز عرضه عليه داوود باشا ، يقصد به اسمه(٩٢) :

هو اسم خادم لكم وداعي
من زمن القرب من الرضاع
وهو لمن لم يكفه تعريفي
يشيع بالقلب وبالتصحيف

أما اشعاره باللغة التركية ، فلا مجال لذكرها هنا .

نثره :

للبندنيجي ، كأغلب كتاب عصره ، اسلوبان متميزان في النثر ، احدهما سهل ، بعيد عن التكلف ، يستعمله في تأليف كتبه ورسائله ، والآخر يميل الى استخدام المحسنات اللفظية وتكلف الالفاظ والتعابير ، خاصة في القطع النثرية التي كتبها لتكون تقاريظ لبعض الكتب او الرسائل ، او اجازات لبعض تلامذته واصدقائه . وهو يميل الى ترصيع نثره باصطلاحات صوفية شتى ، كما نشاهد في القطعتين الآتيتين :

قال في تقريظه كتاب « روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني » لمؤلفه ابي الثناء محمود الآلوسي : « حمداً لله منزل الروح بالآيات والحكم ، من سماء حقائق معاني القدس والقدم ، على نبيه سيدنا محمد فاتحة كتاب الوجود ، ومائدة خوان الكرم والجود ، وخاتمة ابواب الوحي والكشف والشهود ، ليتلوها بلسان بيانه البديع على الخلق ، ويعلمهم ويزكيهم بها في ام قرى الجمع »(٩٣) .

وقال في تقريظه القصيدة التي نظمها الشاعر عبدالباقي العمري في مدح الشيخ ابن عربي : « الله اكبر يا ابن عمر بما نظم بنانك من درر المباني في مديح الشيخ الاكبر ، واوضح بيانك من غرر معاني ذلك الكبريت الاحمر ، كيف لا وهي فرائد عقود ارباب الشهود ، وفصوص خواتم اهل وحدة

---

(٨٩) مجلة الاقلام ١١ (بغداد ١٩٦٨) ص ٥٢ وفي ترجمة قاسم الفواص ، راوي الخبر الوارد في لب الالباب ١/١١٤ انه اي قاسم « قضى جل ثروته بالكيمياء ، حتى جعل بيته اشبه شيء بمارستان جاهز بانواع الآلات والقوارير والمعادن ، وله بهذا العمل شهرة واسعة ، الا ان اعماله هذه لم تعد عليه بنتيجة ما » وقاسم الفواص هو جد الكيميائي الدكتور فاضل الطائي الامين السابق للمجمع العلمي العراقي .

(٩٠) تراجم الوجوه والاعيان ، ص ١ .

(٩١) المصدر نفسه ، ص ١٦ .

(٩٢) رسائل الفاز البندنيجي (مخطوط) .

(٩٣) روح المعاني ، ج ١ ، التقاريظ . والشواف : حديقة الورود ، ص ١٨٧ (مخطوط) .

الوجود ، وفتوحات اسرار الجمع والفرق ، وتجليات انوار الحق في لمعان البرق ، ولعمري ! لقد اسست فيها قواعد التوحيد ، وكشفت بها حقائق علم التجريد ، وتركت عشاق العراق يذكرون ليالي الوصل بالاشواق والفراق . فهم ما بين طريح ومستهام ، وطائر الى عنقاء قاف القدم وهو في المقام »[٩٤] .

وهذان النصان يظهران تاثر البندنيجي في نثره بمصطلحات الصوفية وادبهم ، وهو ما يفسره توغله بدراسة التصوف وانتماؤه الى العديد من الطرق الصوفية ، واتخاذه التصوف طريقا في الادب ، كما اتخذه طريقة في الحياة . وقد اشاد مترجموه بحسن نثره ، وذكروا انه كان ينشىء في مختلف اللغات الاجنبية التي يعرفها . وقال السهروردي : « له نثر يحكي اللؤلؤ والمرجان ، وخط مرضع عظيم الشان »[٩٥] .

مكتبته :

كانت للبندنيجي خزانة حافلة بالكتب الخطية ، منها ما هو نفيس في بابه ، لازمته طيلة حياته ، ونواة هذه الخزانة ما كان يهديه اليه ابوه من كتب علمية وادبية ينسخها بخطه الجميل ، وقد اضاف هو اليها كتبا ورسائل اقتناها في اثناء حياته العلمية ، ورحلاته العديدة ، اعانته في بحوثه ، واستقى منها مواد مصنفاته المختلفة . ولقد شاءت الاقدار ان ينفرط عقد هذه الخزانة بعد وفاة صاحبها فتتفرق ايدي سبا بين بغداد وبندنيجين (مندلي) . وحاولنا ، نحن ، ان نتتبع مصاير هذه الكتب ، فبحثنا في فهارس المخطوطات والمكتبات ، وسألنا بعض حفدته ، فتبين لنا ان جل ما احتوته خزانته ضاع وفقد ، او لا يعلم مصيره ، وفيما يأتي بيان بما عثرنا عليه من بقايا مكتبته ، وبعضه بخط البندنيجي نفسه .

١ ــ مجموعة فيها :

أ ــ مفتاح المعية شرح الرسالة النقشبندية الفها عبدالغني النابلسي (المتوفى سنة ١٧٣٠م/١١٤٣هـ) وقد نسخها البندنيجي عن نسخة بخط المؤلف ، وفرغ منها يوم الاثنين قريب العصر ١٣ رجب سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٢م .

ب ــ رسالة في الايمان والسلوك ، وضعها احد النقشبنديين بالفارسية نسخها البندنيجي بخطه .

وقد آلت هذه المجموعة الى المكتبة القادرية ببغداد ، وهي تحمل الان الرقم (٧٣٢)[٩٦] .

٢ ــ حاشية على حاشية الخيالي ، تاليف عبدالحكيم السيالكوتي البنجابي (المتوفى سنة ١٦٥٦م/١٠٦٧هـ) على حاشية احمد بن موسى الخيالي (المتوفى سنة ١٤٥٧م/٨٦٢هـ) على شرح سعد الدين التفتازاني لكتاب العقائد النسفية لنجم الدين النسفي نسخها البندنيجي بخطه « في الجامع الاحمدي والخانقاه الاحسائي ثم الخانداي[٩٧] سنة الف ومايتين وثلث واربعين » . آل هذا المخطوط الى تلميذه السيد عبدالرحمن الكيلاني سنة ١٨٦٧م/١٢٨٤هـ ، وهو اليوم في المكتبة القادرية برقم (٥٥١)[٩٨] .

٣ ــ حاشية على رسالة اثبات الواجب . تاليف ميرزا جان حبيب الله الشيرازي (المتوفى سنة ١٥٨٥م/٩٩٤هـ) . كتبها البندنيجي سنة ١٨٣٠م/١٢٤٦هـ بخط متقن نفيس . وهي اليوم في مكتبة الاوقاف المركزية ببغداد برقم (٢٣١٨٢)[٩٩] .

٤ ــ شرح قصيدة البردة تاليف عبدالرحمن ابن اسماعيل المقدسي (المتوفى سنة ١٢٦٦م/ ٦٦٥هـ) . نسخه موسى بن جعفر البندنيجي سنة ١٨١٣م/١٢٢٩هـ لولده عيسى صفاء الدين ، وقد آل الى السيد عبدالرحمن الكيلاني نقيب

(٩٤) الترياق الفاروقي ، ص ١٧٩ .

(٩٥) لب الالباب ، ١١٣/١ .

(٩٦) الاثار الخطية ٨٨/٢ .

(٩٧) يريد مسجد الاحسائي على شاطىء دجلة بشرقي بغداد ، الذي عرف بالتكية الخالدية نسبة للشيخ خالد النقشبندي .

(٩٨) الاثار الخطية ٨٨/٢ .

(٩٩) عبدالله الجبوري : فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الاوقاف العامة في بغداد ١٣٥/٢ .

الاشراف ، وهي اليوم في المكتبة القادرية برقم (١١٣٩)[١٠٠] .

٥ ـ حاشية على حاشية الخيالي . نسخة اخرى بخط والده المذكور . عليها قراءة لعيسى البندنيجي على شيخه عبدالرحمن سنة ١٨٢٧م/ ١٢٤٣هـ . آل هذا المخطوط الى السيد رشيد عالي الكيلاني ، ومنه الى مكتبة المتحف العراقي برقم (٤٢١)[١٠١] .

٦ ـ حاشية على حاشية السيد الشريف على شرح مختصر المنتهى لابن الحاجب ؛ تاليف محمد بن حميد الكفوي . نسخة تاريخها ١٨٠٦م/ ١٢٢١هـ تملكها البندنيجي سنة ١٨٤٥م/١٢٦٢هـ وهي اليوم في المكتبة القادرية برقم (٥٠٨)[١٠٢] .

٧ ـ التصريح بمضمون التوضيح تاليف خالد الازهري (المتوفى سنة ١٤٩٩م/٩٠٥هـ) نسخة اخوه محمد صالح بن الشيخ موسى البندنيجي سنة ١٨٣٠م/١٢٤٥هـ وتملكه عيسى صفاء الدين ، ثم آل الى المكتبة القادرية ، وهي فيه برقم (٩٢٨)[١٠٣] .

٨ ـ مجموعة فيها :

أ ـ حاشية حيدر بن احمد على حاشية ميرزا جان على شرح حكمة العين للقزويني تاريخها سنة ١٨٣٠م/١٢٤٥هـ

ب ـ حاشية احمد العمر كبندي على الحاشية المذكورة . تحمل التاريخ السابق . تملك المجموعة عيسى البندنيجي سنة ١٨٤٠م/١٢٥٦هـ ثم آلت الى المكتبة القادرية ببغداد وهي اليوم برقم (٨٣٣)[١٠٤] .

٩ ـ حاشية على تفسير الفاتحة للبيضاوي تاليف ملا شيخ بن صوفي الارموي نسخها والده لاجله سنة ١٨١٧م/١٢٣٣هـ وهي اليوم في المكتبة المركزية في الموصل[١٠٥] .

وهناك كتب ورسائل عديدة ، غير ما تقدم ، لم تصل الى المكتبات العامة فتعرف ، وتبرز اهمية النماذج التي عرضناها لاحتوائها على شروح البندنيجي وتعاليقه وفوائده مما كان يكتبه بخطه على مقتنياته من الكتب ، وهي بذلك تلقي ضوءاً على مدى الخسارة الناجمة عن ضياع سائر كتبه واندثارها .

اسرته وذريته :

كان البندنيجي مقيما ببغداد ، في محلة « راس القرية » بالجانب الشرقي للجامع المعروف بجامع الخاصكي . ذكر ذلك عند حديثه على الشيخ محمد الأزهري دفين جامع الخاصكي[١٠٦]

تزوج البندنيجي من صالحة خاتون بنت الشيخ علي بن حسن بن علي الحسيني البندنيجي مؤسس التكية البندنيجية ببغداد . وكانت هذه السيدة معروفة بالورع ، وقفت حصصا كثيرة من بساتين لها في بندنيجين على فقراء التكية ، بموجب الوقفية المصدقة في ٤ صفر سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م[١٠٧] . وقد رزق منها بعدة ابناء ، منهم السيد عبدالرحيم ضياء الدين ، والسيد عبدالله[١٠٨] ، وشغلا منصب التدريس في التكية من بعده على التوالي . ونبغ اولهما في الفقه والقانون ، اذ اكمل دراسته في كلية الحقوق (حقوق مكتبي) باستانبول ، وعين مدرسا لمحكمة التجارة في طرابلس الغرب (ليبيا) وتوفي

---

(١٠٠) الاثار الخطية ٤/٥٨ .

(١٠١) مخطوطات خزانة رشيد عالي الكيلاني . مجلة المورد مجلد ٥ (عدد ٢ ، ١٩٧٦) ص ٢٠٩ .

(١٠٢) الاثار الخطية ٢/٢٢٢ .

(١٠٣) الاثار الخطية ٣/٢٥٢ .

(١٠٤) الاثار الخطية ٣/١٦٥ .

(١٠٥) سعيد الديوجي : مخطوطات المكتبة المركزية في الموصل (بغداد ١٩٦٧) ص ٥ .

(١٠٦) بناه والي بغداد محمد باشا الخاصكي سنة ١٠٦٩هـ/ ١٧٨١م ، اما قبر الازهري فاقدم منه بكثير ، وقد وردت اخباره في كتاب بهجة الاسرار للشطنوفي .

(١٠٧) ابراهيم الدروبي : البغداديون ٢٢٥ .

(١٠٨) تولى التدريس بعدهما السيد صفاء الدين بن عبدالله ، بينما كانت التولية بيد السيد جودت بن عبدالرحيم ، وقد اعقبه في التولية على التكية السيد هاشم بن صفاء الدين .

بها . والف كتابا في اصول الفقه عنوانه « ضياء (او اضاءة) الانوار على اصول المنار » للنسفي . فرغ منه سنة ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م[١٠٩] .

وفاتـــه :

وكانت وفاة البندنيجي في ليلة الاحد ١٧ رجب سنة ١٢٨٣[١١٠] اي في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٨٦٦[١١١] . ودفن في صباح الاحد في تكية البندنيجي ، في حجرة خاصة قرب قبة السيد علي البندنيجي الكبير ، ووصف الالوسي وفاته بقوله « وقد عرا الناس من هذا الخطب ما تنفطر منه القلوب ، وتسيل منه المآقي وتذوب »[١١٢] واقيمت له مجالس التعزية ، ورثاه العلماء ، وارخ وفاته الادباء .

آثـــاره :

على الرغم من اطلاع البندنيجي الواسع ، وثقافته الغنية ، ومعرفته بعدد من اللغات الشرقية والغربية ، فانه كان مقلا من التاليف ، ولعل ذلك عائد ــ كما اشرنا قبلا ــ الى حالته النفسية القلقة ، وروحه المكتئبة . وهو لم يكن يؤلف كتابا الا بعد ان يطلب اليه ذلك ، بل يلح عليه الحاحا ، على ان ما كتبه من كتب ورسائل ــ على قلته ــ جدير بالعناية والاعتبار ، لما يتمتع به من رصانة في الاسلوب وجودة في العرض والترتيب .

وجميع آثار الشيخ ما تزال مخطوطة ، موزعة في الخزائن الخاصة والعامة ، وبعضها مفقود ، فلا يعرف مكان وجوده .

وفيما يأتي عرض لهذه المؤلفات :

---

(١٠٩) من نسخة خطية في المكتبة الازهرية بالقاهرة (فهرس الازهرية ٦٢/٢) وانظر اسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين ٥٦٥/٢ حيث يسميه « عبدالرحيم ضياء الدين ابن عيسى صفاء الدين البغدادي المندلاوي الحنفي » وسكت عن تاريخ وفاته .

(١١٠) المسك الاذفر ١٣١ ولب الالباب ١١٢/١ ومجهول : ترجمة البندنيجي في اول كتاب تراجم الوجوه والاعيان ص ١ .

(١١١) مجهول : الترجمة المذكورة سابقا ص ١ .

(١١٢) المسك الاذفر : ١٢٢ .

١ ــ تراجم الوجوه والاعيان المدفونين في بغداد وما يليها من البلدان . وقد ترجمه الى العربية من اصله تركي العبارة المعنون « جامع الانوار في مناقب الابرار (وفي بعض النسخ : الاخيار » تلبية لطلب السيد محمود بن زكريا الكيلاني نقيب اشراف بغداد ، ثم زاد عليه ، وغير فيه حتى كاد ان يكون من تاليفه .

واصل الكتاب لمؤرخ العراق مرتضى آل نظمي (المتوفى سنة ١١٣٦هـ/١٧٢٢م) فرغ من تاليفه سنة ١٠٩٢هـ/١٦٨١م[١١٣] ، ثم نقل الى العربية لاول مرة على يد السيد احمد بن السيد حامد الفخري مفتي الموصل (المتوفى سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م) ولكن ترجمته اياه كانت حرفية تفتقر الى كثير من التصحيحات والتغييرات ، فبقي الكتاب قليل الفائدة[١١٤] ، حتى جاء الشيخ عيسى البندنيجي فنقله الى العربية واوسعه زيادة واضافة ، وحقق مادته بدقة ، ورجع الى مصادره واصوله ، فقارن وصحح وعدل ، فتضاعف بذلك حجم الكتاب ، وزادت قيمته العلمية ، حتى عده المستشرق الروسي كراتشكوفسكي « مصدراً من الدرجة الاولى في مجال الطبوغرافيا والاثنوغرافيا فيما يتعلق بالازمنة المتاخرة ، وقد انعكس هذا جلياً في الابحاث التي كتبها عن بغداد ، المستشرقان الفرنسيان هوار وماسينيون اللذان افادا كثيراً من مادته »[١١٥] .

---

(١١٣) توجد منه نسخة خطية في مكتبة الاوقاف المركزية ببغداد برقم (٨٢٧) واخرى حسنة في مكتبة المتحف العراقي .

(١١٤) توجد منه نسخة بخط المعرب المذكور في مكتبة الاوقاف العامة في الموصل برقم ٢٢/٤ آلت اليها من مدرسة حسن باشا الجليلي ، وهي في ٦٩ ورقة . سالم عبدالرزاق احمد : فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل ج ١ (الموصل ١٩٧٥) ص ١٨٢ . ولقد اشار ياسين العمري (المتوفى بعد سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٦م) الى هذه الترجمة (غاية المرام ص ٢٢٢) ، ونقل منها مادة الفصل الثامن من كتابه المذكور « في ذكر المراقد المشرفة في بغداد » .

(١١٥) كراتشكوفسكي ، اغناطيوس : تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، (القاهرة ١٩٦٣) ٦٤٦/٢ .

ويصف البندنيجي كيفية اقتناعه بفكرة تعريب الكتاب فيقول « ناولني (يريد السيد محمود الكيلاني) كتاباً ، وشافهني خطاباً ، وقال ان هذا الكتاب في بابه من اعجب العجاب ، حوى تراجم الوجوه والاعيان ، وحاز مآثر غرر نواصي الازمان من الاصفياء والاولياء المقبورين في بغداد وما يتبع قضائها من البلدان ، الا انه تركي اللسان، ولا ينشق انفاس نفائسه من ليس له بلغة الترك عرفان ، فالمأمول ان تترجمه بلسان العرب لتعم فوائده جميع اهل الادب ، ولا تكون خالصة للاتراك لا غير ، وليبقى لك ولنا بذلك ذكر جميل واثر خير. ولما انتهى من كلامه ، وبين مرامه ، اطرقت ملياً وقلت في نفسي خفياً ، وهو مني مناط الثريا ، وما للبندنيجي والبيان ، فانه عجمي الطبع واللسان[116] . فرفعت راسي واظهرت ما في نفسي ، معتذراً باني لم اكن من فرسان هذا الميدان ، وبتصاغري حتى عن رتبة الترجمان .. فكلما اعتذرت اليه ، وبينت عذري ، لم يفد الاعتذار الا تكرار الطلب والاصرار ، فلم يسعني الا المسارعة والبدار الى الامتثال والائتمار »[117].

ثم يشرح خطته في الترجمة والتاليف فيقول « فلازمت ترتيب المؤلف في التقديم والتاخير ، والتزمت اضافة بعض زيادات اليه بعد التهذيب والتحرير ، راجياً من الله التوفيق للاتمام ، والتنشيق لانفاس المترجمين الاجلة الاعلام . والمرجو من فضلاء الزمان ، ان يصلحوا بقلم فضلهم ما فيه من الفساد والنقصان »[118] .

ان تحقيق الشيخ للكتاب والزيادات الكثيرة التي زادها عليه ، اظهرت مقدرته في التاليف التاريخي ، ودرايته بفن التراجم والسير . ولهذا كان كثيراً ما يضرب صفحاً عن كلام مؤلف الاصل، ليتوسع هو ، وعلى طريقته ، في التاليف والبحث.

(116) يريد انه غير اهل للعمل ، وهذا من باب التواضع ليس غير .

(117) تراجم الوجوه والاعيان ص ١٠-١١ .

(118) المصدر نفسه والصفحة .

فعندما يصل ، في تعريبه وتحقيقه ، الى ترجمة الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي ، نراه يذكر بصراحة « قلت : طاوياً للكشح عن كلام المؤلف »[119] . وفي ترجمته للشيخ عبدالرحمن الطسفونجي « اقول غير متعرض لكلام المؤلف وقوله »[120] . ونجده في كثير من الاحيان يرجع الى الاصل الذي نقل عنه المؤلف ، فياخذ منه مباشرة ، دون ان يتعرض لتعريب نص مؤلف الكتاب ، فهو يقول مثلا في ترجمة ابي عبدالله محمد الواقدي « ذكره ابن خلكان ، ونقل عنه المؤلف ملخصاً ، ولم يصب في تلخيصه ، فاقول ناقلا عن التاريخ المذكور »[121] . ويميز كلامه ـ في العادة ـ عن الاصل المعرب بقوله « قلت » او « نقول » بحيث لا تختلط اضافته بنص المؤلف مطلقاً . وهو بعد ان يستطرد في الكتابة يقول منبها «انتهى ، ولنرجع الى ترجمة كلام المؤلف فنقول».

وبينما يصرح مؤلف الاصل مرتضى آل نظمي في مقدمته بأن مصادره لا تتجاوز الستة ، فيقول « ونظمت درر مآثر مختصة باولئك الاجلاء جامعا اياها من كتابي شواهد النبوة ونفحات الانس المنسوبين الى مولانا عبدالرحمن الجامي ، والبهجة ، وشرح الهمزية ، وروضة الصفا ، وتاريخ ابن خلكان »[122] نجد ان البندنيجي يتوسع في اخذه من المصادر التاريخية والادبية ، حتى بلغ عدد مصادره اضعاف ما اعتمده مؤلف الاصل . كما انه ، زيادة على ما صنع ، اضاف الى الكتاب تراجم جديدة عديدة لم يذكرها مؤلف الأصل مرتضى آل نظمي ، منها على سبيل المثال تراجم الشيخ ابي اسحاق الشيرازي ، وابي القاسم ابن ناقيا ، وابي الحسن محمد بن علي المصري ، وابي محمد القاسم البصري ، والشيخ جاكير ، وابي البركات عبدالرحمن بن محمد الانباري ، وغيرهم

(119) المصدر نفسه ٥٥١ .

(120) المصدر نفسه ٥٦٦ .

(121) المصدر نفسه ٥٢٥ .

(122) مرتضى آل نظمي : جامع الانوار في تراجم الاخبار ، الورقة ٢ (مخطوط في مكتبة الاوقاف ببغداد) .

على انه لم يخرج في زيادته عن خطة الكتاب الاصلية ، ولم يشذ عنها ؛ كقوله في ترجمة ابي البركات الانباري مار الذكر « لم يذكره المؤلف ، فذكرته لما كان ممن نحن بصدد ذكرهم ؛ فقلت ناقلا من تاريخ ابن خلكان »[١٢٣] .

والكتاب ـ بعد هذا ـ ذو قيمة خططية لا يستهان بها ، لما يحفل به من معلومات عن معالم مدينة بغداد المختلفة ، وبخاصة في العصور المتأخرة ، تجد فيه اسماء مشاهد بادت ؛ واخرى لم تزل ماثلة ، ووصف مساجد واسواق ، وضبط مواقعها بحسب العصر ، ومعلوماته بوجه عام لا غبار عليها ؛ وخاصة فيما يتصل بالقرون المتاخرة. ونقطة الضعف الرئيسة فيه ، هي قلة الفهم الخططي لتطور بعض المعالم البغدادية ، من تغير في اسماء المحال والمواقع القديمة او انتقالها الى مسميات جديدة ؛ ونسبة مشاهد قائمة الى شخصيات سالفة لمجرد شيوع نسبتها اليهم في عصره . على أن هذا الامر لا يقلل من قيمة الكتاب التاريخية كثيراً ، لان تسجيل اعتقادات الناس ومعلوماتهم في ذلك العصر امر ذو فائدة كبيرة لدارسي خطط المدينة ، حتى لو جانب الصواب بعض هذه الاعتقادات والآراء[١٢٤] .

يبلغ عدد تراجم الكتاب (١٩٢) ترجمة ، ومنه نسخ عدة موجودة في خزائن الكتب ببغداد وغيرها ، منها :

ا ـ نسخة جيدة كتبها حاوي محمد بن علاوي سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م في آخرها فهرس باسماء الاعلام الذين وردت تراجمهم في الكتاب ، في مكتبة المتحف العراقي برقم (١١٣٦٠) وتقع في (٤٠٤) صفحات .

ب ـ نسخة كتبها نافع بن عبدالرزاق ، في اوائل هذا القرن ، وتملكها انستاس ماري الكرملي ، في مكتبة المتحف العراقي برقم (١٣١٩).

(١٢٣) تراجم الوجوه والاعيان ٥٤١ .

(١٢٤) انظر مثلا ما ذكره في صدد قبر الامام ناصر الدين ، وقنبر علي ، وحبيب العجمي ، والقدوري .

وتقع في (٦١٧) صفحة . وتمتاز هذه النسخة بكونها مصدرة بترجمة حسنة للشيخ البندنيجي ، تشكل الصفحتين الاوليين منها ؛ وهي لكاتب غير معروف ، لكنها ذات فائدة جلى ، وقد استقينا منها في عدة مواضع من هذا البحث . كما ان في اولها « فائدة » في تحقيق نسبة الكتاب ؛ ليعقوب نعوم سركيس مؤرخة في ٢٢ آذار ١٩٢٩ وهي بخط يده[١٢٥] .

ج ـ نسخة كتبها محمد بن خضر بن محمد سنة ١٩٤٣ ؛ في مكتبة المتحف العراقي برقم (٢٥٦) وتقع في (٣٨٤) صفحة .

د ـ نسخة كتبها عبدالرزاق بن فليح البغدادي سنة ١٣٥٠هـ/١٩٣١ ، في مكتبة المتحف العراقي برقم (٩١٠٨) وتقع في ٦٥٣ صفحة .

هـ ـ نسخة كتبها محمد امير ، في مكتبة المتحف العراقي برقم (٢٦٢٧) وتقع في (٢٠٦) صفحات[١٢٦] .

و ـ نسخة بخط عبدالفتاح بن الحاج سعيد الشواف سنة ١٢٦٢هـ/١٨٤٥م ، وتملكها السيد علي القادري نقيب الاشراف سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م ، وهي في مكتبة المدرسة القادرية العامة ببغداد ، برقم (١٢٥٢) وتقع في (١٥٦) ورقة[١٢٧].

ز ـ نسخة لدى السيد هاشم بن صفاءالدين متولي اوقاف التكية البندنيجية ببغداد .

ح ـ نسخة كتبها ابراهيم الدروبي ، في مكتبة مدرسة يحيى باشا الجليلي في الموصل ، برقم (حيازة ٣٨٤٧٣) .

(١٢٥) وقد وصفها ايضا في مجلة لغة العرب ٧ (بغداد ١٩٢٩) ص ٥١٨ بمقال خاص ، ثم اعاد نشره في كتابه « مباحث عراقية » ١/٢٤٩ .

(١٢٦) كوركيس عواد : المخطوطات التاريخية في مكتبة المتحف العراقي . مجلة سومر ١٣ (بغداد ١٩٥٧) ص ٥٢ وانظر عواد ايضا : ما سلم من تواريخ البلدان العراقية المقتطف ١٠٥ (القاهرة ١٩٤٤) ص ٢٧٨ واسامة النقشبندي وظمياء محمد عباس : مخطوطات التاريخ والتراجم والسير (بغداد ١٩٨١) ص ١٢٢ .

(١٢٧) عماد عبدالسلام رؤوف : الآثار الخطية في المكتبة القادرية ٤ (بغداد ١٩٨٠) ص ١٧٤ .

ط ـ نسخة لدى السيد جميل الطالباني في مدينة كركوك في العراق .

ي ـ نسخة كانت لدى السيد محمد توفيق البندنيجي (المتوفى في ٢٨ شباط ١٩٤٣) .

ك ـ نسخة في مكتبة الدولة ببرلين برقم (Fol. 3301) [١٢٨] .

ولقد ادى ظهور الكتاب على شكل تأليف حقيقي ، لا مجرد ترجمة للكتاب القديم : « جامع الانوار » الى وقوع عدد من المؤرخين والمستشرقين في اوهام عديدة ، عند تحقيقهم نسبته . فظن الآلوسي في « المسك الاذفر » انه محمد تأليف البندنيجي اصلا قال « وله كتاب لطيف في تراجم من دفن في بغداد ونواحيها من الاولياء والصلحاء ، أجاد فيه غاية الاجادة حتى شهد له بالفضل اهل العلم واستحسنه الادباء »[١٢٩] . ومثله ما ذكره السهروردي اذ قال « وله مؤلفات عظيمة منها ... كتاب في مشاهد بغداد ونواحيها »[١٣٠] . ومن الذين وقعوا في الخطا نفسه من المستشرقين كارل بروكلمان Brockelmann وبابنكر Babnger وكليمان هوار Huart وماسنيون Massignon وكرتشكوفسكي Krachkovski . فعد بروكلمان الكتاب تأليفا مستقلا للشيخ صفاء الدين ؛ لكنه حدد تاريخ تأليفه له بين سنة ١٦٦٦م/١٠٧٧هـ وسنة ١٦٨١م/١٠٩٢هـ ثم عاد فنسب الكتاب الى الشيخ علي البندنيجي المتوفى سنة ١٧٧٢م/ ١١٨٦هـ ؛ ضاما اياه الى جملة مصنفاته[١٣١] .

وذهب كرتشكوفسكي ، معتمداً على كل من بروكلمان وبابنكر ، الى ان « صفي الدين عيسى القادري ، أحد كبار رجال الطريقة النقشبندية ، واصله من مندلي .. ، وضع مصنفا باللغة التركية (كذا) عام ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م بعنوان جامع الانوار في مناقب الاخيار ، وهو عبارة عن تاريخ من دفنوا ببغداد ونواحيها من الاولياء والصالحين ، وقد اكمله المؤلف بنفسه الى عام ١٠٩٢هـ/١٦٨١م (كذا) .. ومن الطبيعي ان يثير مصنف صفي الدين (كذا) اهتمام العلماء العرب ببغداد ، فنقله الى العربية في القرن التاسع عشر بعض افراد اسرة الآلوسي المشهورة التي قدمت لنا عدداً من العلماء »[١٣٢] ولا ندري كيف اقحم هذا المستشرق الاسرة الالوسية في هذا العمل ؛ وكيف جاز له ان ينسب تعريب الكتاب الى احدافرادها؛ فيحين يضع البندنيجي بين رجال القرن السابع عشر الميلادي (١١ للهجرة) . ولاريب في ان عدم التمييز بين مؤلف الاصل مرتضى آل نظمي ، والبندنيجي ، هو الذي قاد الى هذه الاوهام . وقريب من ذلك في الغرابة ما ذكره المستشرق ماسنيون اذ اشار الى ان وفاة عيسى البندنيجي كانت بعد سنة ١٠٩٢هـ/١٦٨١م (وهو في الحقيقة تاريخ فراغ مرتضى آل نظمي من تأليف الاصل التركي) الا انه اعتقد ان كتابه « جامع الانوار » مؤلف باللغة الفارسية ![١٣٣] . وذهبت مجلة المرشد البغدادية الى أن الكتاب من تأليف الشيخ موسى بن جعفر القادري البندنيجي ، والد الشيخ صفاء الدين عيسى ، وذلك في نبذة نشرتها سنة ١٩٢٩م[١٣٤] وزعم رزوق عيسى إن البندنيجي فرغ من تصنيف كتابه في الساعة الحادية عشرة من نهار يوم الاربعاء في ٢٢ صفر سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ؛ وهو زعم غريب ، لان البندنيجي توفي قبل هذا التاريخ بعهد طويل[١٣٥] .

٢ ـ شرح نظم السراجية في الفرائض . والسراجية للشيخ سراج الدين محمد بن عبدالرشيد السجاوندي من رجال القرن الثالث

(١٢٨) Brockelman, C. : Geschichte der Arabischen Litteratur, S. II, 574.

(١٢٩) المسك الاذفر ١٣١ .

(١٣٠) لب الالباب ١/١١٣ .

(١٣١) Brock., S. II, 507, 574

(١٣٢) كراتشكوفسكي : المصدر السابق ٢/٦٤٦ .

(١٣٣) ماسنيون : سليمان الفارسي والبواكير الروحية للاسلام في ايران . مقالة نشرت ضمن كتاب « شخصيات قلقة في الاسلام » ترجمة د . عبدالرحمن بدوي، ص٥٥ .

(١٣٤) مجلة المرشد ٣ (بغداد ١٩٢٩) ص ٢٦٨ .

(١٣٥) مجلة لغة العرب ٣ (بغداد ١٩١٣) ص ٢٦٨ .

عشر للميلاد (٧ للهجرة) ، اما النظم فلصلاح الدين يوسف بن عبداللطيف الرحبي الشافعي[١٢٦] وقد وصف بعض معاصريه هذا الشرح بانه « لم يوجد له نظير ، حيث شحنه بالفوائد ، وجرده من كل ما يعمى »[١٢٧] واوله « ان ارجح ما نيل به قرب الفرائض والنوافل ، وانجح ما توسل به من الوسائل في حل مشكلات الرسائل » . وآخره « نجز بحول من به القوة والحول .. وختمت الزبر وتمت » . منه نسختان خطيتان في مكتبة المرحوم عبدالله نيازي ببغداد ، احداهما بخط نسخ واضح ، وتشغل (٢٩٤) صفحة[١٢٨] .

٣ ـ الاجوبة البندنيجية عن الاسئلة اللاهورية . وهي رسالة في الإجابة على مسئلة عقائدية وردت من مدينة لاهور في الهند الى علماء بغداد ، فاحالها اليه والي بغداد علي رضا باشا اللاظ ليرد عليها . أولها « الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق » وآخرها « قال المؤلف : استراح من تحريره بعون منه هو المستعان في سلخ شعبان سنة الف ومايتين واربع وخمسين من هجرة سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله واصحابه اجمعين » . وقد رتبها على اربعة فصول وخاتمة .

من الكتاب غير نسخة ، هي :

أ ـ نسخة بخط مؤلفها اهداها الى قاسم افندي كاتب الديوان لوالي بغداد سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥١م محفوظة في مكتبة الاوقاف ببغداد برقم (٦٥٦٠) وتقع في (٢٧) صفحة[١٢٩] .

ب ـ نسخة بخط مؤلفها في مكتبة المتحف العراقي برقم (١٢٦٢١) .

ج ـ نسخة بخط مؤلفها ، كتبها سنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م ضمن مجموعة في المكتبة القادرية ببغداد ، برقم (١٤٨٢) وتقع في (١٥) ورقة[١٤٠] .

٤ ـ شرح القصيدة النائية وتخميسها . وكان عبدالباقي العمري قد نظمها باقتراح من « والي الشام وامير الحاج ابي المكارم علي رضا باشا » وهي في مدح الشيخ محيي الدين ابن عربي الحاتمي الطائي . ثم خمسها ، وطلب من صديقه البندنيجي ان يشرح القصيدة وتخميسها شرحاً وافياً ، فوافق بعد الحاح[١٤١] وجاءت مقدمة الشرح بالعربية وكذا خاتمته . اما سائر الشرح فباللغة التركية .

منه نسخة بخط المؤلف في مجموعته المحفوظة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد[١٤٢] .

٥ ـ حاشية على كتاب « الفوائد الجليلة في سلسلات محمد بن أحمد عقيلة »[١٤٣] وفيها مجموعة الروايات والسماعات والاحاديث التي اخذها عن علماء عصره ، اثبتها بأسانيدها ، وهي ذات اهمية خاصة في التعرف على شيوخ البندنيجي

---

(١٢٦) انظر كشف الظنون ١٢١١/٢ وسامي : قاموس الاعلام ٢٥٣٧/٤ .

(١٢٧) الالوسي : المسك الاذفر ١٣١ .

(١٢٨) عامر النشطيني : فهرس مخطوطات مكتبة عبدالله نيازي (مخطوط) .

(١٢٩) عبدالله الجبوري : فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الاوقاف المركزية ببغداد ٥٤١/٢ .

(١٤٠) رؤوف : الاثار الخطية في المكتبة القادرية ٥ (بغداد ١٩٨٠) ص ٢٤٤ .

(١٤١) شرح القصيدة النائية / المقدمة .

(١٤٢) [وتحتوي هذه المجموعة ، فضلا عن آثار البندنيجي المنوه بها في هذا البحث : رسالة من الشيخ عبدالله بن محمد الكردي البيتوشي الى عبيد الله بن صبغة الله الحيدري ، وموشحا للشاعر عبدالباقي العمري سماه « سبائك المسجد في نعت حضرة شيخ الاسلام احمد »، وتشطير قصيدة حويز آغا زادة ابو بكر قاصد افندي بالفارسية في مدح احمد عارف حكمت ، لعبدالباقي العمري ، وجعل التشطير بالعربية ، وقدم له بمقدمة ، وارخه في سنة ١٢٦٢هـ/١٨٤٥م وابياتا لناظم الاصل مدح فيها المشطر العمري . وهذه المجموعة النفيسة بخط البندنيجي ، كتبها لشعبان بك بن الخطاط عثمان سيفي كاتب ديوان الانشاء ببغداد] .

(١٤٣) هو من الكتب ذائعة الصيت في الوطن العربي ابان القرن الثامن عشر والتاسع عشر الفه جمال الدين محمد بن احمد بن سعيد المشتهر والده بعقيلة المكي . توفي سنة ١١٥٠هـ/١٧٣٧م (المرادي : سلك الدرر ٢٠/٤ والكتاني: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة)، ص ٨٤ .

واساتذته ، كما انها تكشف عن معارفه وعلومه . منها نسخة خطية في مكتبة الاوقاف ببغداد آلت اليها من مكتبة المرحوم حسن الانكرلي ، وهي فيها برقم (١٣٨١٤) وتقع في (٣٧) ورقة[١٤٤] .

٦ ــ مشيخة البندنيجي . وتشتمل على قائمة بمشايخه من العلماء في العراق والشام والحجاز ، وبالمصنفات التي رواها عنهم مسلسلة الى مؤلفيها . وتكشف هذه المشيخة عن ثقافة البندنيجي الواسعة ، وشدة ضبطه وعلو اسناده.

ومن المشيخة نسخة بخطه ، صدرها باجازة علمية الى تلميذه قاسم خير الدين البغدادي البياتي ، وتشغل (١٥) ورقة . وهي محفوظة في المكتبة القادرية ببغداد برقم (١٤٠٨) . اولها « الحمد لله المزيز الفرد المتواتر الالاء على من انقطع اليه ، الرافع قدر من استند الى جنابه » . وآخرها « ابو الهدى عيسى صفاء الدين خادم الطلبة في المدرسة الداودية والفقراء في الزاوية القادرية البندنيجية في بغداد المحمية غفر له ولاسلافه »[١٤٥] .

٧ ــ مجموعة البندنيجي . وهي مجموعة ضخمة من الكتب والرسائل والنصوص انتخبها البندنيجي من مصادر عديدة متنوعة ، في العقائد والفلسفة والادب واللغة والتصوف والحديث والتفسير والتراجم والتاريخ ، وكلها بخط جامعها، كتبها سنة ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م . وهي على جانب كبير من الاهمية والفائدة بسبب ما تحتويه من نصوص ورسائل نادرة او مفقودة ، وبعضها لمؤلفين ضاعت آثارهم وضاعت اسماؤهم ايضا . كما انها تضم فوائد وتعاليق وشروح جمة من تاليفه ووضعه . والمجموعة في المكتبة القادرية ببغداد برقم (١٤٤٩) وتقع في (١٥٢) ورقة[١٤٦] .

(١٤٤) فهرس المخطوطات العربية ٢/٢٢٥ .

(١٤٥) الاثار الخطية ٤/٣٢١ .

(١٤٦) وصفنا محتويات هذه المجموعة النفيسة بتفصيل في كتابنا : الاثار الخطية في المكتبة القادرية ٥/١٨١-١٨٩ .

WWW.ATTAWEEL.COM